مسألة الخمور في تاريخ المغرب الوسيط

ذ.محمد عمراني*

يطمح الموضوع إلى فهم البنية الإقتصادية التي شكل الخمر أحد العناصر المنشطة لها،كما أنه يفسح المجال للتعرف على الانعكاسات المباشرة لانتشار ظاهرة الخمور على الحياة الاجتماعية. وتبقى الأسطغرافية المغربية المطلع عليها قاصرةعن إشباع نهم الباحث في هذا المجال لأن تعاملها مع الموضوع يأتي في غالب الأحيان عرضا.و لم تهتم به إلا كتابات مباشرة قليلة،مثل كتاب" قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور" للرقيق القيرواني(1).

إن موضوع الخمر لا زال بكرا،ويستوجب بحثا معمقا من أجل الوصول إلى نتائج من شأنها أن تكشف عن بعض المسكوت عليه في حياة العصر الوسيط المغلفة بالإطار الديني الذي يحول دون طرق أبواب هذا الموضوع وأشباهه من المواضيع.

-زراعة الكروم وصناعتها.

يحيط البحث في زراعة الكروم في تاريخ المغرب خلال العصر الوسيط بمجموعة من المشاكل،ترتبط بالتقنيات المستعملة في هذه الزراعة والمساحة المخصصة لها.ويبدو أن اهتمام المغاربة بزراعة الكروم كان منذ زمن طويل ،فشارل أندري جوليان(2) يشيرإلى أن الإمبراطورية الرومانية راقبت زراعة الكروم خلال القرن الثاني الميلادي بشمال افريقيا،لكن رغم ذلك استمرت هذه الزراعة وواصل السكان الاهتمام بها.ومن العوامل الطبيعية التي ساعدت على زراعتها توفر المغرب على شبكة مائية هامة،وتربة فتية وغنية.

انتشرت زراعة الكروم في معظم أقاليم المغرب الوسيط،وتختلف كثافتها من منطقة لأخرى،حسب اهتمام السكان،والمعطيات الطبيعية مما ميز كل منطقة بنوع معين من الأعناب،ويقول الادريسي(3) في هذا الصدد"في هذا الجبل-أي تنمل-من الفواكه التين الكثير...وفيه العنب المستطيل العسلي الذي لا يوجد في

---

* أستاذ باحث من وحدة

أكثره نوى"بالإضافة إلى الاستهلاك المباشر كانت كمية كبيرة من هذا العنب تجفف لتزبيبها نظـــرا لإقبـــال الملوك عليه"(4) كما انتشرت زراعة الكروم ببلاد السوس(5) ويقول صاحب الاستبصار(6) أن هذه الزراعة تمارس على واد ماسة. وعلى سفوح جبال درن الباردة،اهتم السكان بغرس الكروم نظرا لأهميتها في حيـــاتهم اليومية. لأن أكثر عيشهم" إنما هو من العنب والزبيب والرب (بضم الراء المشددة)"(7) ويلاحظ أيضا أنـــه تحول كميات منه إلى خمر يسمى في هذه المناطق "الرب".واهتم سكان مراكش كذلك بزراعة الكروم كما يشير البكري(8) أن منطقة سجلماسة أيضا كانت بها " كثير من الأعناب"تحول كميات كبيرة منها إلى زبيب ".وفي منطقة هسكورة اهتم الفلاحون بزراعة الكروم إلى جانب الأشجار الأخرى"والكروم فيها معروشة إلى جذوع الأشجار"(9) وتعطي هذه الكروم نوعا من العنب الأحمـــر اللـــون"يســـمى بلغـــة البـــلاد بيـــض الدجاج"(10)مما يدل على كبر حجمه،كما أن أهل هذه المنطقة يزببون جانبا من هذا المنتوج "ومن عـــاداتهم تجفيف عنب دي لون ومذاق عجيبين"(11).وفي إقليم تامسنا حسب تقسيم الحسن الوزان-تسود هذه الزراعة في عدة مناطق كتادلا (12)وأنفا(13) وعلى ضفاف نهر كبير في منطقة الصويرة.وكلما اتجهنا نحـــو الشمـــال ازداد الاهتمام بزراعة الكروم كما تتبث المعلومات المتوفرة حول مجموعة من المناطق كمكناسة وفاس وغيرها من المناطق الأخرى.فقد أولىسكان مكناسة اهتمامهم لزراعة الكروم واعتمدوا في ذلك على السقي.وتنتـــج هذه المنطقة نوعين من العنب وبكميات كبيرة "وفيها أنواع من العنب الأبيض والأسود كثير طيب يطبخ ولا يزبب"(14)وقد تدعم الإنتاج بالإضافة إلى المساحة المسقية بزراعات بورية وفرت نوعا جيدا من العنب"وكان العنب البعلي بها في غاية من الطيب"(15).و كان هذا النوع من العنب لا يجفف وكانت كميات هامة منـــه تحول إلى خمور(16).اعتمادا على النوع الابيض الشديد الحلاوة "لا سيما الأنثى منه ويذكر أنه من قوتـــه لا يستحيل خمرا إلا بعد اعتدال الزمان"(17).و تمتعت فاس ونواحيها كذلك بسيادة الإنتاج على الأنهار كإيناون حيث "تكثر البساتين والكروم على طول النهر"(18)،كما أنها تسود في مناطق أخرى كصفـــرو(19).وتكـــاد تكون كل الأراضي الصالحة للزراعة مغروسة بكروم تنتج أجود العنب وقد كانت أحلى ما ذاقـــه الـــوزان حسب ما جاء في كتابه(20).ويتبين أن المساحة من مكناس إلى فاس كانت مليئة بحقول الكروم،الشيء الذي ساعد على إحداث حركة تجارية نشيطة له من الحقول نحو مراكز الاستهلاك،ويذكر التادلي (21)أنه كـــانت تقام مجالس مزايدة لبيع العنب وخاصة في سلا رغم أنها لم تكن تنتج كميات كبيرة منه .وقد بلغ في فـــترات الرخاء خلال العصر المريني "درهم ونصف للربع"(22)كما شكل حسب الحسن الوزان مصدر عيش لكثـــير من العائلات.وفي اتجاه الشمال في ناحية الهبط غرس السكان مساحات مهمة على سفوح الجبـــال كجبـــل تغات(23)ومنطقة الحمر(24)ويقول الوزان عن سبتة"في ظاهر المدينة أملاك فخمة ...لا سيما في مكان يدعى بنيونس لكثرة ما غرس فيه من كروم"(25).وانتشرت زراعة الكروم كذلك في الريف نظرا للتساقطات الوفيرة والجو البارد.وقد كون العنب في بعض المناطق مصدر العيش الأساسي للسكان." فسكان جبال بني منصـــور

فقراء لأن جبلهم لا ينتج غير العنب"(26)،أما سكان بني وليد ف"أغنياء إن لهم كروم كثيرة ذات عنب أسود"(27)ويرجع غنى هؤلاء بالأساس إلى الاتجار في الزبيب الذي ينقلونه في اتجاه فاس.وعلى العموم يبدو من خلال الإشارات التي يوردها الحسن الوزان أن الإنتاج كان متوفرا في كل الريف ومن المناطق الأخرى التي وجدت بها الكروم،جبل بني جنفن حيث "كميات ضخمة من العنب"(28)،وتنطبق نفس الخاصية على الكثير من المناطق الأخرى على طول سفوح جبال الريف.أما تازا فكانت تنتج ثلاثة أنواع من العنب"وكروم تعطي محصولا طيبا من العنب الأبيض والأحمر والأسود"(29)،وكانت كميات منها تعصر لصنع الخمور،وفي شمال تازة تغطي الكروم سفح جبل البرانس الذي يوجه للإستهلاك المباشر،لأن أهل هذا الجبل وكذلك جبل مكاصة لا يشربون الخمر ولا يعصرون العنب الأسود الذي ينتجونه(30).

بعد هذا التتبع لخريطة إنتاج الكروم بالمغرب الوسيط حسب ما جادت به المادة المصدرية المطلع عليها،يتضح أن زراعتها كانت كثيفة بالمنطقة الممتدة من مكناس في اتجاه فاس وناحية الهبط وناحية تازة.أما أقاليم المغرب الأخرى وإن وجدت بها زراعتها فإن أهميتها كانت تتفاوت حسب الظروف الطبيعية السائدة ودرجة اهتمام السكان بها.وبخصوص العينات أنتج فلاحو هذه الفترة أنواعا مختلفة من الأعناب،فثمة الأبيض الذي كان عاما في جميع المناطق و العنب الأسود الذي كان ينتج في أيشتوم وبني وليد وجبل بني يدر بالريف،كما كان ينتج هذا النوع أيضا في تازا ومكناس،أما العنب ذو اللون الأحمر فكان ينتج بمناطق هسكورة وتازا وغيرها.

و فيما يخص الاستهلاك تفبد المصادر المعتمدة أنه كان يتم على ثلاثة مستويات:

1-الاستهلاك المباشر مع التسويق.

2-التجفيف:ويؤكل زبيبا كما أنه يدخر على طول السنة و يتم تسويقه في جل المناطق حتى أن جبل تنمل كان ينتج زبيبا معروفا على الصعيد المغربي آنذاك(31).

3- أما المستوى الثالث فكان تحويله إلى خمور مختلفة الأنواع.

لم تحظ صناعة الخمور بأي اهتمام من طرف الدارسين الذين تناولوا بالدراسة اقتصاد تاريخ المغرب،واكتفى عز الدين موسى(32)الذي عنون إحدى العناصرفي كتابه "بصناعة الخمور"بالحديث عن الاستهلاك ومراكز صناعة الخمور،ومن الأكيد أن ذلك قد يفسر بندرة المادة المصدرية،كما قد يعود إلى أن صناعة الخمور كانت تدخل في إطار المحظورات.

إن المعلومات التي سمحت المادة المصدرية بالتعرف عليها هزيلة جدا لا ترقى إلى مستوى العنوان المخصص لهذه الفقرة.فالتقنيات التي اعتمدها عاصرو الخمر جد متواضعة،وربما يرجع ذلك لكونها صناعة منزلية(33)تقوم بها العائلات لاستهلاكها الشخصي(34).يطلعنا البكري عن طريقة صناعة الخمور بسوس،وتدل على أنها كانت تخضع لدقة كبيرة في الصنع حتى لا يحدث أي خلل في جودة المادة

المصنوعة.والنص الذي يورده البكري(35)هو أقدم نص متوفر لدينا عن صناعة الخمور حسب المادة التي تم الاطلاع عليها وفيه يقول:"وبالسوس عسل يفوق عسل كل الأمصار يلقي النبيذيون على الكيل الواحد منه خمسة عشرة كيلا من ماء فحينئذ يأتي شرابا وإن كان أقل من ذلك بقي حلوا ولا ينحل إلا في الماء الشديد الحرارة،لونه لون الرماد"وإن كان هناك اختلاف حول اللون حيث أن صاحب الاستبصار يذكر أن"لونه أخضر في لون الزمرد"فإن البكري وصاحب الاستبصار يتفقان حول الطريقة المتبعة في التحضير ويلاحظ أن الماء (15كيلا)والعسل (كيل واحد)شكلا المادتين الأساسيتين في هذه الصناعة.أما التقنية الثانية فكانت منتشرة في جبال درن،ويبدو أنها تتطلب وقتا أطول من التقنية الأولى،حيث يتم طهي عصير العنب حتى ينقص منه الثلث ومن المحتمل أن ذلك كان يتم في قدور كبيرة لتلبية الحاجيات اليومية لأن الموحدين خاصة كانوا يعتبرون هذا النوع المسمى "الرب"حلالا إلى حدود فترة يعقوب المنصور،وكان يروج في الحفلات الشعبية التي كان يقيمها الخلفاء(36)والتي تستهلك فيها كميات كبيرة.أما تناوله فلم يكن مباشرا بل كانت تضاف إليه كميات من الماء .يقول الادريسي عن فعالية الرب"...وشرابهم المسمى أنزيز وهو حلو يسكر سكرا عظيما ويفعل شاربه ما لا تفعله الخمر لمتانته وغلظ مزاجه"،وحول طريقة صناعته يقول:"وذلك أنهم يأخذون من عصير العنب الحلو فيطبخونه بالنار إلى أن يذهب ثلثه ويزال عن النار ويرفع ويشرب ولا سبيل إلى شربه إلا أن يخلط بمثله ماء"(37). كانت القاعدة تتطلب أن يتبخر الثلث من عصير العنب الجيد،أما العنب الرديء فكان يجب أن تنقص منه نسبة الربع.وفي رجز يقع في نحو 1333 بيتا من نظم أبي عثمان ابن الشيخ أبي جعفر بن ليون التيجني نجد وصفا مماثلا،لكيفية صنع الرب ومنه:

الرب صفو ماء العنب ... بعد قعود ثقله المجتنب

للثلث في الطيب أو للربع ... في العنب الرديء ذا الباني واع

وأطبخه مع ماء يزاد وتزال ... رغوته مدة طبخه اتصال

و لم تتوفر لدينا عن صناعة الخمور في العصر المريني أي معلومات من المصادر المطلع عليها،ولكن تتوفر إشارات عن أماكن الصناعة(38)"...ومن غلوهم فيه أنهم يقولون أنه يستصبح بخمره"(39)كما أنه كان يعصر في ناحية الهبط والريف(40)،واشتغل اليهود خاصة بهذه الصناعة في منطقة تازا"ويعصر منه اليهود الذين لهم خمسمائة دار في المدينة خمرا في غاية الجودة يقال أنها أجود خمور هذه الناحية كلها"(41)،إضافة إلى الخمور المحلية استهلك سكان المغرب الوسيط خمورا مستوردة من الخارج(42)في إطار العلاقات التجارية بين المغرب ودول البحر الأبيض المتوسط لكن المراجع الأجنبية المطلع عليها لم تكشف عن الأنواع التي كان المغرب يتزود بها علما أنها كانت موجهة أصلا للمسيحيين المقيمين به كالجنود والتجار.

تجارة الخمور.

ربط المغرب خلال العصر الوسيط علاقات تجارية مع دول البحر المتوسط،سمحت بخلق رواج شمل مختلف البضائع الفلاحية،وكانت الخمور من أهم البضائع التي صدرها الأوربيون في اتجاه المغرب،فكان الجنويون والمرسيليون والبنادقة...وغيرهم يترددون على شواطئ سبتة ووهران وتونس وبجاية(43)،حاملين معهم كميات هامة من الخمور لبيعها للمسيحيين المقيمين بالمغرب من تجار وقناصلة وجنود،وربما حتى للسجناء(44).وكانت هذه الخمور تباع في الفنادق التي كان يتخذها التجار الأوربيون مقرا لهم.وفي إطار تنظيم هذه التجارة التي بدأت تغزو المغرب سمحت اتفاقية 1228م/625هـ التي أبرمت مع مرسيليا كراء محل واحد لبيع الخمور للمسيحيين وحدهم(45).،وتشير إحدى النوازل الفقهية إلى أن المسلمين كانوا يحصلون على الخمور من المسيحيين الذين كانوا يتمتعون بحرية تناولها.وقد حاول الفقهاء إصدار فتاوي تكره بيع الكرمة للمسيحيين والذين يعصرون بها الخمر(46).ولكن محاولاتهم ذهبت سدى أمام توطد العلاقات التجارية المغربية الأوربية،بل إن تجارة النبيذ سرعان ماخرجت من الفنادق المسيحية لتوزع في عدة مدن،بشكل سهل ترويج الخمور اليونانية والإسبانية في أنحاء المغرب بشكل علني(47).وتكشف الاتفاقية السابقة الذكر،أن الخمر كان يباع في سبتة كغيرها من الموانئ الأخرى بالتقسيط والجملة"وكان بإمكان المسلمين كغيرهم من المسيحيين التزود علانية بما يحتاجونه من خمور"(48)،وكان يوجد بتونس وبجاية ومدن أخرى فندق يسمى "فندق الخمر" يباع فيه الخمر بترخيص من الملك وبمراقبة من رجاله.

إذا كانت المراجع التي تم الاطلاع عليها لا تكشف عن أنواع الخمور ولا عن الكميات التي كانت تصدر في اتجاه المغرب،فإنها تثير مشكلا آخر يتعلق بالموارد المالية التي كانت تحصل عليها الدولة عن طريق الضرائب الجمركية التي كانت تفرضها على المواد الأجنبية الداخلة إلى المغرب ومن بينها الخمور،فقد سمحت السلطة في تونس لتاجر من البندقية تعهد بدفع أموال مسبقة بجباية ضريبة الخمور بنفسه(49).وتجدر الإشارة إلى أن الخمور كانت تقدم في إطار "رشاوي"للمراقبين إضافة إلى الضريبة التي كانت تصل إلى 5% على المنتوجات الأجنبية(50).ومع تطور الأحداث وازدياد التغلغل التجاري المسيحي في الأقاليم المغربية و الاقبال الكبير على هذه المادة خاصة في تونس،دخل التجار في منافسة حول احتكار تجارة الخمور مما كان يدر على الخزينة التونسية أموالا هامة(51).

وأما فيما يخص الأثمان التي كانت تباع بها الخمور فتفيد بعض المعلومات المتوفرة أن الخمر الاسباني بيع في تونس، سنة 1287م ب 2 besant *وفي سنة 1290م بيع بأكثر من ذلك.وقد بلغت أثمان الخمور في تونس ضعف ما كانت عليه في كتلونيا(52).وحسب ليون الإفريقي كان الخمر يباع كمادة عادية إلى جانب المواد الأخرى خلال السوق الأسبوعي الذي كان يقيمه سكان بني أحمد في الريف(53). كما انتعشت تجارة

الخمور في فاس حيث كان الاستهلاك مباشرا.من المؤكد أن المادة كانت متوفرة والاقبال عليها واضح ، رغم محاولات الفقهاء الحد من ذلك والتخفيف منه.

جاء تعامل المصادر المغربية مع ظاهرة الخمور هامشيا،ولم تكلف نفسها عناء الخوض في هذه الآفة وخاصة في الفترة المرابطية(54).إذ تجمع بعض المصادرعلى أن عهد يوسف بن تاشفين كان عصر نقاء فهذا الرجل الذي كان حديث العهد بالحياة المدنية، لم يتطبع بحياة البذخ رغم أن حاشيته بدأت تبحث عن اللذة وتدفعه لذلك و يورد المقري نصا في غاية الأهمية يطرح مجموعة من التساؤلات حول حاشية يوسف التي سال لعابها أمام الحياة الماجنة التي كان عليها المعتمد بن عباد"وكان مع ابن تاشفين أصحاب لا ينبهونه على حسن تلك الحال وتأفلها وما هي عليه من النعمة والإتراف ويغرونه باتخاذ مثلها،ويقولون له،إن فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعيم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه"(55) غير أن ابن تاشفين كان "داهية عاقلا مقتصدا في أمور غير سالك مسالك نهج الترف والتأنق في اللذة والنعيم أذهب صدر عمره في بلاده الصحراء في شظف العيش"(56) وعلى العكس من هذا سادت في عصر علي بن يوسف عادة شرب الخمر وتفشت في المجتمع(57)ويذكر ابن خلكان(58)أن المهدي بن تومرت اتهم المرابطين بشرب الخمر بحضور علي بن يوسف الذي اكتفى بدمعة تحصر وندم على ما آلت إليه الدولة من رذائل،فحتى العلماء لم يسلموا من هذه العادة التي تجدرت وأصبحت ظاهرة اجتماعية مألوفة(59)،وقد اضطر القاضي أبي الفضل إلى جلد الفتح بن خاقان الذي دخل مجلس القاضي سكرانا"وذلك أنه قصد الى مجلس قضائه مخمرا-أي ابن خاقان-فشم بعض شهود المجلس من رائحة الخمر فأعلم القاضي بذلك فأمر به فاستثبت في استنكاهه وحد حدا تاما"(60)،وذكر بوتشيش(61)أن الفتح بن خاقان أرسل رسالة إلى أحد القضاة يناشده الحد من هذه الظاهرة التي لم يسلم منها هو نفسه.وإذا كانت الفئات الأرستقراطية تتناول الخمور معبرة عن مستوى البذخ والعيش الرفيع فإن العامة كانت تتناول الخمور تعبيرا عن الرفض والمعاناة والصعوبات التي اعترضتها في حياتها اليومية(62)،فحين سأل القاضي ابن حمدين أحد المدمنين"ما شأنك أيها الشيخ فقال:ياأخي فساد الزمان ومجافاة الإخوان ومعاداة العوام هذا شأني،فقال لهم أعرف هذا مجنونا أرسلوه"(63)،فهذا القاضي لم يتخذ أي إجراء تجاه هذا الشخص وكأنه يبدي تفهما للأوضاع،واقتنع بهذه المعطيات العامة التي كانت تعم المغرب والأندلس بشكل عام والتي كانت نتاجا للتطورات الاجتماعية والاقتصادية التي آلت إليها الدولة.

ويلاحظ من خلال تتبع النوازل الفقهية التي تعطي انطباعا حول هذه الظاهرة و تكشف بعض الغموض الذي ساد المصادر التاريخية العامة، أن المستفسرين كانوا يحاولون ايجاد ثغرة في التشريع الإسلامي من أجل تبرير شرب الخمر ولو باللف والتحايل،ففي أحد أجوبة ابن رشد(64) عن إحدى الأسئلة قال:"تصفحت سؤالك الواقع في بطن هذا الكتاب ووقفت عليه والسؤال:هل الخمر محرمة العين أو محرمة الذات؟سؤال فاسد لأن الخمر هو ذاتها".ويظهر أن القاضي تنبه إلى التحايل حين قال"سؤال فاسد"لأن صاحبه

لم يرد من ذلك سوى إيجاد مبرر كيفما كان لكي يضفي الشرعية على تناول الخمر،فالمالكية المذهب الرسمي للمرابطين كانت تحرم شرب القليل أو الكثير(65)منها.

و لم يقتصر تناول الخمور على الذكور فقط بل طال حتى المرأة المرابطية "واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة على أكبار لمتونة ومسوفة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور"وإن كان النص لا يشير إلى الاستهلاك المباشر فإنه على الأقل يؤكد بأن النساء اللواتي يتمتعن بالامتيازات صرن يحمين أصحاب الخمور.

اكتسبت الخمور شعبية كبيرة و لم تعد تشرب لتجاوز الأزمات،بل أضحت تقرن بالفرحة والاستمتاع،ويستشف من إحدى الفتاوي التي أوردها الونشريسي(66)أن الخمور كانت تشرب في الأعراس التي كانت تستضاف إليها المجموعات التي تنشط العرس بالرقص والغناء(67) وبلغ الأمر بالسكارى إلى قذف المقدس(النبي-الله-الدين).كما ادعى البعض الألوهية مما دفع بالفقهاء إلى إصدار فتاوي في هذا الشأن لتأديب المدمنين(68)سواء العادين أو حتى القائمين على الأمن كرجال الشرطة(69)الذين تورطوا هم أيضا في هذه العادة

وقد تسببت هذه الظاهرة الاجتماعية في شجارات وخلافات عائلية،ويذكر الونشريسي(70)في هذا الصدد أن خلافا نشب بين الزوج وصهره بعدما تبين أن الزوج يتناول الخمر ويجالس أهل الدنايا مما دفع بالأب الورع الحافظ للقرآن البحث عن حل للقضية،وتنبه النازلة إلى أن الزوجات كن يتعرضن للتعذيب الجسدي والمضايقة المادية من طرف الأزواج المعاقرين للخمر،كما كن يهن في مشاعرهن الدينية.وتقول نص الفتوى:"وسئل أبو الحسن اللخمي...عن رجل من أهل القرآن تزوج بكرا وأبوها وأخوها من أهل القرآن،وأحدث الزوج شرب الخمر ومخالطة أهل السوء،وقد كان قبل تزوج هذه الطفلة يوسم بذلك لكنه لم يجاهر به،و لم يصحبه أبو الزوجة وماله من أنواع المضرة عاجلا وآجلا وقد أراد أبو الزوجة الآن فراقها"وقد أفتى الشيخ بإمكانية التطليق،وبالإضافة إلى هذاالمشكل العائلي فإنه كان يثار من حين لآخر مشكل الإزعاج الذي كان يحدثه السكارى أثناء مرورهم في الأزقة الآهلة بالسكان(71).

ولما وصل الموحدون الى السلطة حاولوا لفت الأنظار إلى هذه الظاهرة في إطار مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،إلا أن محاولتهم لم تأت بنتائج إيجابية حتى على مستوى البلاط الموحدي نفسه،فابني عبد المومن محمد وأبي سعيد تورطا في تناول الخمور وحينما ولي هذا الأخير على الأندلس وجدها فرصة سانحة لإشباع نهمه من هذه المادة و لم يكتف بها لنفسه بل أجبر أشخاصا آخرين على تناولها،وفي رواية أوردها المقري(72)فإن أبي سعيد أجبر ابن جبير وهو من علماء القرن السادس الهجري على تناول الخمر رغما عنه "كتب في أول أمره-أي ابن جبير-عن السيد أبي سعيد ابن عبد المومن صاحب غرناطة،فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا وهو على شرابه،فمد يده إليه بكأس،فأظهر الانقباض،وقال يا سيدي ما شربته قط فقال:والله

لتشربن منها سبعا،فلما رأى العزيمة شرب سبع أكوس"ومباشرة بعد هذا الحدث المحرج لابن جبير لم رحاله في اتجاه الحج وبحوزته سبعة أكوس من النقود التي حصل عليها من أبي سعيد مقابل تناوله للخمر،وإذا كان ابن سعيد قد استقر بغرناطة،وغاص في المجون فإن أبا عبد الله محمد الابن الأكبر لعبد المومن أدى ثمنا باهضا لتعاطيه للخمر.وتجمع جل المصادر وخاصة التي عاصرت الفترة كالمراكشي وابن صاحب الصلاة أن من بين الأسباب القوية التي كانت وراء عزل محمد من ولاية العهد اكتشاف أمره أمام أبيه إثر عودته من زيارة إلى قبر المهدي"وعند الانصراف منها في الطريق ظهر من جرحه محمد المخلوع مما وجد عليه في إثر ذلك الخلع،وذهب جانبه الصدع من شرب الخمر المحرمة وظهر السكر عليه،وذلك أنه تقيأه على ثيابه وأطنابه وسرجه وهو راكب على فرسه في المحلة على مرأى من عظماء الموحدين وأشياخهم والعالم من المؤمنين الزائرين فصح عند الخليفة أبيه نكره وتخليطه وسكره..."(73)،كان إذن هذا التصرف من الأسباب الراجحة وراء عزل محمد من منصب ولاية العهد.وتجدر الإشارة إلى أن نفس التهمة قد وجهت إلى محمد بن عبد المومن حين كان واليا على بجاية وكان مصدرها القائد الموحدي عبد السلام"وطال السادات وضايقهم ونسب إليهم عند أبيهم قبائح الأفعال من الراحات والبطالات بالنهار وطول الليل...فرفع إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه أنهم يشربون الخمر المحرمة"(74)،وقد حاول عبد المومن التيقن من الأمر فأرسل من يتجسس عليهم،وهنا نجد أن ابن صاحب الصلاة يتحيز لجانبهم حين يقول:"فوجدوهم يأكلون طعاما بين يدهم مشروب مطبوخ من الرب الحلال"(75).

إن قضية محمد بن عبد المومن تدفع إلى طرح مجموعة من التساؤلات،فابن صاحب الصلاة يستعمل مصطلح "الرب الحلال"وحين يجهر أبو عبد الله محمد بسكره نجده يغير الخطاب ويستعمل كلمة"الخمر المحرمة"فهل هذا يعني أن الرب كان حلالا إن لم يسكر وأنه يصبح حراما إذا أسكر شاربه؟أم أن هناك نوعا آخر كان يتناوله السكيرون وكان محظورا وحراما؟فالمعطيات التاريخية التي تلت هذه الأحداث ستبين بأن هذا النوع من الخمر كان له مفعول الخمر المسكر الشيء الذي اضطر يعقوب المنصور إلى قطعه نهائيا سنة 580هـ (76).

تم التطرق فيما سلف إلى أن الرب كان مادة استهلاكية من طرف الجميع في جبال درن مهد الثورة الموحدية.إلا أن المهدي لم يتخذ ضدرواجه أي إجراء رغم أنه منذ رجوعه في اتجاه المغرب كان يدعو إلى الإقلاع عن شرب الخمر،ويذكر البيدق أن المهدي قد أراق الخمر في البحر عندما وصل بجاية(77)،وربما يرجع سكوت المهدي عن رب درن تأليفا للمصامدة من حوله(78)أو إجراءا مؤقتا ريثما يستتب له الأمر.ولا نستبعد أن يكون هذا التساهل قد فتح مجالا لتداول الخمر بشكل علني بين العامة والسادة من بني عبد المومن أنفسهم،حيث أن أبا يعقوب المنصور أجرى حفلا فخما وزعت فيه كميات كبيرة من الخمور"وقد صنع ما تقدمت العادة به نهر من رب ممزوج بالماء كلما أكلت طائفة قامت ومشت إلى موضع الخليفة رضي الله عنه

وسلمت عليه ودعا لها ونهضت إلى ساقية الرب تشرب وتطرب"(79).وتشير المصادر إلى أن إنتاج السرب في حبال درن كان موجها بالأساس إلى الاستهلاك المباشر والشخصي.وإذا كان الاحتمال واردا حول توجيه كمية منه نحو التسويق نظرا لوجود باب بمراكش تسمى باب الرب،فإلى أي حد يمكن أن تلبي هذه التجارة حاجيات السلطة الكبيرة من هذه المادة؟وصاحب النص يقول:"...صنع ما تقدمت العادة به نهر من رب"بمعنى أن الموحدين قذ اعتادوا توزيع الرب في الحفلات التي كانت تشرف عليها السلطة مباشرة .

وأمام هذه المعطيات المادية حاول الغناي(80)الدفاع عن سادة الموحدين مبعدا عنهم هذه الشبهة،علما بأن النصوص تذهب إلى عكس ذلك،وإذا كان شخص عبد المومن لم يسقط في هذه الزلات"فمن همته أن لم يخلد إلى الراحات ولا ركن إلى اللذات"(81)فلا يمكن أن يعمم الورع على الجميع استنادا الىالمعطيات السالفة.وتجدر الإشارة إلى أن محمود اسماعيل(82)وجه تهمة خطيرة لعبد المومن متهما إياه بحضور مجلس خمر مع حاشيته والعلماء،فهل كان هذا تحاملا على عبد المومن أم أنه خطأ في الإحالة؟.

غاص الموحدون خاصة وعامة في الملذات وبشكل علني إلى عهد يعقوب المنصور الذي سيعلن الحرب ضد الرب الذي طالما اعتبر حلالا في المراحل الأولى من الثورة،فما هي الأسباب التي كانت وراء المنع المباغث الذي جاء في وقت متأخر؟فالدولة كما سبق الذكر كانت تعيش في حالة فساد اجتماعي"لما رأى التساوي في الانهماك والاغترار،وسمع المجاهرة بالاستهتار والتنافس في الشهوات...وجعل الأنذار والأعذار سكان السيف الصقيل،فأمر بإراقة المسكرات وقطعها،والتحذير بعقاب الموت على استعمالها"(83)،وكان يعقوب المنصور حازما في سياسته ويذكر الناصري(84) أن العقوبات بلغت حد القتل على شرب الخمر،إلا أن هذه الاجراءات انتهت مع وفاته ليعود الخلفاء الضعاف إلى حياة المجون فمحمد المنتصر ت 620"لم يخرج من حضرة مراكش طول خلافته...وكانت اوامره لا تمتثل لضعفه وليانته وإدمانه على الخلاعة وركونه إلى اللذات(85)،وجاء حوله في روض القرطاس "فاعتكف على اللهو واللعب والخمور".وبمجمل القول إن ملوك الموحدين الأواخر وقعوا فريسة سهلة لحياة الترف،واجتمعت بين أحضانهم عناصر اللهو واللذة فقادوا الإمبراطورية الموحدية إلى الإنهيار الشامل الذي مس جميع المجالات(86).تمخض عن هذه الحياة المتسمة باللهو والسهر(87)،ضعف وانكماش استغلته قوى أخرى وبما أنها وجدت مجتمعا اعتاد على شرب الخمر علانية، لم تفكر هذه الدولة الجديدة في حلول زجرية لهذه الظاهرة بل سارت على ما سار عليه السلف.فقد تورط أبناء البلاط المريني في شرب الخمر،و"بلغه-أبي الحسن رضي الله عنه-وكان أعز أولاده الأمير أبو مالك...أنه شرب...الخمر...فأحضر قاضي حضرته وأقام عليه الحد"(88)،وفعل نفس الشيء مع ابن وزيره ..قد لا نطيل البحث عن مبرر لوجود الخمر في العصر المريني لأنه لا يمكن أن تشكل هذه الدولة استثناء مع العلم أنها لم تتبنى مذهبا دينيا كشعار لحملتها ضد الموحدين على عكس سابقتها التي توفر فيها هذا الشرط لكنها وقفت عاجزة عن مواجهة هذه الظاهرة الاجتماعية.لقد احتوت العاصمة المرينية حسب رواية الوزان(89)على لهو

غير بريء،فبالإضافة إلى شرب الخمر وبيعه بموافقة السلطة نفسها كانت تمارس ظاهرة "الدعارةالمنظمة"وفيها أيضا-فاس-دور عمومية تمارس فيها البغايا مهنتهن بثمن بخس تحت حماية رئيس الشرطة"(90)فكانت السلطة إذن تغض الطرف عن هذه الامور،لأن أصحاب هذه الأماكن حسب لوتورنو(91)كانوا يفعلون كل شـــيء كي لا تتعطل أعمالهم.

يتحفنا الحسن الوزان بمعلومات مهمة حول المناطق التي كانت تستهلك فيها الخمور،فناحية الهبـــط والريف انتشرت فيهما هذه الممارسة بشكل فاحش،والغريب في الأمر أن هناك من كان يتوفر على رخصـــة وامتياز لتناول الخمور دون أي مضايقة وإزعاج من السلطة"ويتمتعون-سكان إزجن-بالامتيازات التي منحهم إياها القدامى وهو السماح لهم جميعا بشرب الخمر...وليس منهم من لا يشربه"(92)،وكان ســـكان بـــادس يتناولون الخمور في بهجة ويستمتعون بأوقاتهم على أحسن ما يرام"ومازال بالمدينة زقاق طويل يسكنه اليـــهود وتباع فيه الخمر التي يعدها جميع السكان شرابا رائعا.ويذهب هؤلاء الناس تقريبا كل مساء يكون الجو صحوا في زوارق صغيرة للتنزه على عرض البحر والتسلي بالشراب والغناء"(93)،ورغم هذا فإن سكان الريف كانوا يعيشون في ظروف اقتصادية متردية كثمن لتناولهم العلني للخمر.فقد تحملوا مصائب الضرائب الفاحشة الـــتي كانت تفرض عليهم كمقابل للتغاضي عنهم"وسكانه-جبل بني زرويل-فقراء خاضعون لأمير شفشاون الذي يفرض عليهم إتاوات ثقيلة بحيث لا يستطيع هؤلاء الأشقياء أن يوفروا شيئا مما يدره عليهم نبيذهم"(94).إننا الآن أمام إشكال يتعلق بالقيمة الاقتصادية التي أضحت للخمور.من ناحية لقد اتخذ منها الســـكان مـــوردا ماليا،ومن ناحية أخرى وجدت فيها السلطة سيولة نقدية سهلة الجباية ولعل هذا ما دفع الفقيه أبو الحســـن المليلي إلى القول:"إذا كانت الجبايات كلها حراما فأختار منها ما لا تتابعه نفس معطيه والخمر قل أن يبـــذل فيه أحد ماله إلا وهو طرب مسرور بوجوداته غير آسف عليه ولا متعلقة به نفسه"(95).ومن هنا لا بد مـــن التساؤل عن شرعية الأموال التي كانت تحصل عليها الدولة من تجار الخمور،فهل كانت السلطة تبحث عـــن المال دون النظر إلى مصادره؟أم أنها كانت تتعمد جمع الأموال من السكيرين الذين لا يبـــدون أي مقاومـــة كذعيرة عن تناولهم الخمور دون مراقبة؟

لم تكن الخمرة مادة استهلاكية فقط بل أصبحت عنصرا أساسيا في الأغراض الادبية،فلا تســـتوي كثيرمن صورهم بدون ألوان منتزعة من الخمر فنجد ابن الحاج النميري(96)يصف الفرس وقد تغلغلت المعاني المنتزعة من الخمرة في وصفه: من كميت كأخته التي هي الخمرصافي العينين كأباريق تلـــك الـــتي تشـــرح بهاالصدروإن عرق حكى حبابها لكن لا يكون به السكر وربما حرب وجرى فحصل بتلك الري،وبهـــذا النصر،واتسع كأسها وصدره فدام بتلك الأنس وبهذا السكر".

موقف السلطة من الخمور.

استغل الموحدون الأوضاع الاجتماعية المنحلة في العصر المرابطي،لشن حرب"دعائية"سعى من ورائها المهدي بن تومرت التنقيص من المرابطين وتاليب العامة عليهم"وأخذ يستنقص المرابطين ملوك المغرب ويطعن فيهم،وينسبهم إلى الكفر والتجسيم ويدعو إلى خلع طاعتهم...ويريق الخمر حيثما وجده"(97).فكيف تعامل الموحدون في بداية دعوتهم مع ظاهرة الخمور؟تؤكد المصادر على أن المهدي بن تومرت منذ عودته من المشرق وهو يقاوم ظاهرة شرب الخمر،وجميع وسائل الترف الأخرى،ففي فاس قام بمهاجمة حانات اللهو(98)،وفي بجاية أراق الخمر في البحر(99)،وكان يهدف من وراء هذا تهييئ المجتمع لمرحلة جديدة، دشنها مباشرة عند وصوله مراكش حيث سيدخل في نقاش حاد مع المرابطين الذين اتهمهم وبحضور علي بن يوسف بالمساهمة بشكل مباشر في تردي الأوضاع الاجتماعية وبانتشار المحرمات في أوساط المسلمين"فهل بلغك الكلام للمهدي-ياقاضي-محمد بن أسود-أن الخمرة تباع جهارا وتمشي الخنازير بين المسلمين"(100).

وأمام التقدم الكاسح للقوات الموحدية حاول المرابطون استدراك ما فات،حين عمد علي بن يوسف إلى إصدار أوامره من أجل مواجهة ظاهرة الخمور التي تفشت في المجتمع المرابطي،إلا أن هذه المحاولة كانت متأخرة أمام تقوي المعارضة الموحدية التي حاولت ضرب المرابطين بأي وسيلة.فبالإضافة إلى اتهامهم بالتجسيم وغيرها من التهم تحضر هنا تهمة لها وزن دعائي قوي،فقد اعتبر المرابطون مجرد"زراجنة"ويذهب بروفنسال إلىأن المصطلح من الفارسي الدخيل ويعني الماء الصافي أو الخمر حسب السياق(101).

حظيت إذن ظاهرة الخمور باهتمام بالغ من طرف الموحدين الاول،فقد أقام المهدي بن تومرت الحد على شخص ثبت وهو سكران(102)تنفيدا للتعاليم الإسلامية وإخلاصا لشعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،كما أنه كان يطارد المخمرين بالضرب"بالأكمام والنعال وعسف النخيل"(103)،مقتديا في ذلك بالصحابة.و لم تقتصر حربه ضد الخمر على المقاومة المباشرة بل امتدت إلى المستوى النظري فقد أفرد لظاهرة الخمر"كتا ب تحريم الخمر"ضمن مؤلفه"أعز ما يطلب"والذي بين فيه مفاسد الخمر ووجوب"كسر الأواني وتحريم الانتفاع به وبنجاسته"(104).ومما يؤكد على أن هذه الظاهرة احتلت حيزا كبيرا في مشروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،اعادته في وصية وفاته الحديث عنها ومطالبته بتنفيذ الحدود المنصوص عليها في القرآن والسنة(105).

لا نذهب بعيدا مع تطور الدولة الموحدية وما سيرافق ذلك من ركون إلى اللذات وتأثير الشهوات بل سنبقى مع المهدي نفسه الذي لم يفعل شيئا مع المصامدة الذين كانوا يستهلكون الخمر بشكل واسع في جبال درن،وتحضر هنا الأهداف السياسية وتتقوى أكثر،فالمهدي وعى جيدا ان الرب يشكل مادة استهلاكية لا يمكن منعها بشكل مباغث، فاقتصر على التلميح إلى عواقب الخمر الوخيمة بدل الدخول في صراع مباشر

مع المصامدة،والأكثر من هذا أشار ابن خلكان(106)إلى أن المهدي بن تومرت استعمل الخمور بهدف الإيقاع بجنود علي بن يوسف الذين كانوا يأتون الى تنمل "فأخذ عنهم العهود والمواثيق واطمأن قلبه ثم قال لهم:"استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح.فإذا جاؤوكم فأجروهم على عادتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور،فإذا سكروا فأذنوني بهم"فمن الناحية الدينية يحد السكير بعد أن يستفيق من سكره(107)إلا أن المهدي قفز على هذا الشرط وعمد إلى قتل الجنود نهائيا.

كان الموحدون الأوائل يستمدون قوة تفوقهم في محاربة الخمور التي سادت في العصر المرابطي من القرآن والسنة،وقد أبدوا في بداية حكمهم اهتماما بالغا بهذه التعاليم ولكن بقي ذلك دونما تطبيق(108).فمن خلال ما سبق تبين أن الخمور كانت متداولة بين أفراد المجتمع الموحدي وأن السلطة نفسها كانت توزعها في الحفلات التي كانت تشرف عليها مباشرة(109).ولقد حاول يعقوب المنصور إعادة الاعتبار إلى الجذور التي قامت عليها ثورة أسلافه فهل نجح فعلا في احتثات هذه الظاهرة؟هذا ما لا يمكن الجزم به لأن العقوبات التي تلت القرارات بلغت أقصاها وهو القتل(110)،مما يعني أن الاستهلاك قد استمر بصورة سرية وسينفجر الوضع مع الانحلال الذي عرفته الدولة مع مرحلة الملوك الضعاف الذين"تهاونوا في الأمور واشتغلوا باللهو والخمور"(111).وإذا دشن الموحدون مسلسل مناهضتهم للمرابطين باتهامهم بالتغاضي عن تناول الخمور فيما بينهم ،فمضمون اتفاقية مرسيليا يحمل على التأكيد أن الموحدين سقطوا في نفس المحظورات التي أخذوها على المرابطين من أجل الإطاحة بنظامهم(112).ولما وصل المرينيون الى السلطة وجدوا المجتمع منكبا على اللهو ومجاهرا بالمحرمات،فحاولوا في بداية دولتهم التنبيه إلى هذه الفواحش والدعوة للعودة إلى الشريعة،لكن نداءاتهم بقيت مجرد آمال لم تتحقق حتى في بلاطاتهم حيث أن يوسف بن يعقوب كان مؤثرا للذاته مستترا بها عن أبيه يعقوب بن عبد الحق،وقد انتدب يهوديا للوقوف على توفير لذاته والدخول بها عليه"وكان خليفة بن رقاصة من اليهود المعاهدين بفاس قهرمانا لداره على عادة الأمراء في مثله من المعاهدين،فكان يزدلف إليه بوجوه الخدم ومذاهبها،فاستعمله هذا الأمير في اعتصارها والقيام على شؤونها،فكانت له بذلك خلوة منه أوجبت له الحظ عنده حتى إذا هلك يعقوب بن عبد الحق واستقل ابنه يوسف بأعباء ملكه واتصلت خلوته في معاقرة الندمان"(113). استغل اليهودي ابن رقاصة الفرصة "فعظمت رياسته وعلا كعبه بالدولة وتلقى الخاصة الأوامر منه فصارت له الوجاهة بينهم وعظم قدره بعظم الدولة"(114).ومع تطور الدولة المرينية وما تبع ذلك من ركون إلى الترف لانسجل أي رد فعل جدي إلا مع أبي الحسن المريني الذي شدد إلى حد ما على تناول الخمور وقد نفذ حد السكر على ابنه وابن وزيره كما شدد المراقبة على المسيحيين الذين كان يجد فيهم المسلمون مزودا رئيسيا"ولم يبح لهم الخمر إلا ما يسوغ لهم،من ظهر عليه أنه باعه لمسلم،واستظهر به بولغ في عقوبته وجعل عبرة للمعتبرين"(115).

إن أهم نتيجة يمكن استخلاصها مع إقصاء الاستثناءات هي أن ظاهرة الخمور لم تحظ بمراقبة جيدة رغم محاولات بعض القضاة الفاشلة والتي عادت على بعضهم بمصير سيء.ويتضح ذلك_على سبيل المثـــال- من خلال قضية أبي الحسن الصغير الذي عرف بتشدده على أهل الفسوق والمناكر،فقد سيق " إليه ذات يوم هذا الأندلسي(وهو رسول من عند ابن الأحمر إلى السلطان أبي الربيع)وهو سكران فأمر العدول...فاستشموا منه رائحة الخمر وأدوا شهادتهم على ذلك فأمضى القاضي حكـــم الله فيـــه وجلـــده الحـــد"(116).إلا أن احتجاجات الموفد الأندلسي لدى الوزير المريني جر على القاضي متاعب لم تنقده منـــها إلا حمايـــة العامـــة له،ووقوفهم في وجه الوزير المريني عبد الرحمن بن يعقوب"فثارت العامة بهم ومرج أمر الناس وقامت الفتنـــة على ساق"(117)..يمكن أن نستنتج من خلال هذه الحادثة أن القضاء لم يكن يتمتـــع بحـــق اتخـــاذ القـــرار المناسب،فخلال فترات الدول الثلاث يمكن أن نلمس مثل هذه التبعية،ففي عهد المرابطين إذا تأملنا نصا لابن أبي زرع(118)سنجد أن القرار يمكن أن يتخذ من ثلاث مستويات"...ويريق الخمر-أي المـــهدي-ويكسـر آلات الطرب من غير إذن أمير المسلمين ولا مؤامرة من أحد القضاة والوزراء"،ويورد الونشريســـي إحـــدى الفتاوي تذهب في نفس الاتجاه حيث أن القاضي ليس من مهامه أن يتعاطى الكشف عن الخمور.

كانت الحسبة زمن المرابطين الجهاز الاساسي الذي يتولى الحفاظ علـــى الآداب وإبـــادة المبيقـــات بالإضافة إلى أعمال أخرى،و يفهم أن محاربة الخمور كان من دور المحتسب فسكان بجاية سألوا ابن تومـــرت حينما أراق خمورهم في البحر"من أمرك بالحسبة"(119).أما خلال الفترة الموحدية فإن ابن عذاري يشـــير إلى صاحب الشرطة،فهل كانت الشؤون موكولة إلى أصحاب الشرطة دون المحتسب(120).

وعلى العموم بقيت الحسبة عاجزة عن إيجاد حل لهذه الظاهرة لأن سلطاتها لم تكن واسعة بالدرجة التي تسمح لها بالتشدد في المراقبة.وتبين احدى الفتاوي ذلك"إذا ارتفعت أصوات السكارى بالملمات المأثورة عنهم حتى سمعت من الخارج فهو للحسبة وكذا ظهور رائحة الخمر وعلم أنها المحرمة"(121).ورغم أن نفـــس الفتوى توضح أن مداهمة المنازل التي يشتبه فيها أمر وارد لكنه كان يرفق بمجموعة من الشروط كـــالحصول على أمر من السلطان نفسه،وإيجاد شهود يوثق بهم يثبتون التهمة الموجهة لمترل ما،وفي بعض الأحيان تكـــون التهمة غير كافية وهناك من أفتى أنه"من اتهم بالخمر أو الزنا ووجدت الخمر أو الزانية بداره فلا يحد"(122).

الـــهـــوامـــش

1)-الرقيق القيرواني:تاريخ افريقية والمغرب:ط1،دار الغرب الاسلامي،بيروت،لبنان،1998،ص.ل.

2)-تاريخ افريقيا،الدار التونسية،حويلية1985،ط5،ج1،ص.3.288.

3)-الإدريسي،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،عالم الكتب،بيروت،1989،ط1،ج1،ص.230.

4)-نفس المصدر والصفحة.

5)-نفس المصدر،ص.227،الحسن الوزان:وصف افريقيا،الرباط،1960،ج1،ص.92.

6)-مجهول،دار النشر المغربية،البيضاء،1985،ص.211.

7)-الاستبصار،مصدر سابق،ص.211.

8)-المغرب في بلاد افريقية والمغرب،مكتبة افريقيا والشرق،باريز1985،ص.148،الاستبصار،مصدر سابق،ص.201.

9)-الحسن الوزان،مصدر سابق،ص.132.

10)-نفس المصدر والصفحة.

11)-نفس المصدر ،ص.134.

12)-نفس المصدر،ص.146.

13)-نفس المصدر،ص.156.

14)-الروض الهتون،مصدر سابق،ص 6.

15)-نفس المصدر،ص.9.

16)- Khaneboubi:op,cit,p:184.

17)-الروض الهتون،مصدر سابق،ص.10.

18)-وصف افريقيا،مصدر سابق،ص.225.

19)-الاستبصار،مصدر سابق،ص193.

20)-وصف افريقيا،مصدر سابق،227.

21)-التشوف إلى رجال التصوف،منشورات كلية الىداب،الرباط،ط1،1984،ص.212

22)-الناصري،الاستقصا،دار الكتاب،البيضاء،1954،ص88.

23)-الحسن الوزان،مصدر سابق،ص.231.

24)-نفس المصدر،ص.241.

25)-نفس المصدر،ص.246.

26)-نفس المصدر،ص.256.

27)-نفس المصدر،ص.260.

28)-نفس المصدر،ص.264.

29)-الحسن الوزان،مصدر سابق،ص.276.

30)-نفس المصدر،ص278.

31)-الادزيسي،مصدر سابق،ص.230.

32)-النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن 6 هـ،دار الشرق،بيروت،1983،ط1،ص.241.

33)-نفس المرجع | ،ص242.

34)-الحسن الوزان،مصدر سابق،ص248.

35)-البكري،مصدر سابق،ص.162.

36)-ابن صاحب الصلاة،المن بالامامة،دار الغرب الاسلامي،1987،ص.344.

37)-الادريسي،مصدر سابق،ص.228.

38)-أورده محقق المن بالامامة:مصدر سابق،ص.114.

39)-الروض المتون،مصدر سابق،ص.10.

40)الحسن الوزان،مصدر سابق،ص.276.

41)-الحسن الوزان،مصدر سابق،ص.276.

MALSATRIE:traites de paix et de commerce.Paris 1985 p:154. -(42

Gisel chovin:Apercus sur les relations de la France avec le Maroc,des origines à la fin du-(43
moyen age.Hesperis.TXII1957,pp:271-275

Maslatrie:op.cit/p:370.-(44

Ibid.p:168.-(45

46)-الونشريسي:المعيار المعرب،نشر وزارة الشؤون الاسلامية للمملكة المغربية،1981، ج6،ص.69.

Maslatrie:op,cit,p:368.-(47

Ibid,p:154-(48

Maslatrie:op,cit,p:297.-(49

Ibid.p:203.-(50

* besant هو الدينار وكان يعادل 10 دراهم فضية.

Ibid.p:369-(51

Du fourcq:l'espagne catalon et le Maghreb.P.U.F.Paris1956,p:549.-(52

53)-وصف افريقيا:مصدر سابق، ص ,258-263(بني زرويل,

Duverdin:Marakechdesoriginesà1912.Edtechnique,Nord Africain,Rabat,1959,p:31-(54

55)-المقري:نفح الطيب،دار صادر،بيروت 1968، ج1،ص.374.

56)-المقري:نفح الطيب،مصدر سابق، ج1،ص,375

57)-القادري بوتشيش:المغرب والاندلس في عصر المرابطين:دار الطليعة،بيروت،ط1، 1993،ص,97.

58)-ابن خلكان:وفيات الأعيان،دار صادر،د,ت,ج5،ص,49,

59)-القادري بوتشيش:مرجع سابق،ص,98,

60)-المعيار:مصدر سابق، ج2،ص,410,

61)-القادري بوتشيش:مرجع سابق،ص,97,

62)-نفسه،ص.98.

63)-المعيار:مصدر سابق، ج2،ص,410,

64)-ابن رشد:فتاوي ابن رشد،دار الغرب الاسلامي،ط1، 1987،ص,712,

65)-ابن رشد:نفس المصدر، ج2،ص,714,

66)-المعيار:مصدر سابق، ج2،ص,216,

67)-المعيار:مصدر سابق، ج2،ص,533,

68)-نفسه، ج2،ص,362-519,

69)-نفسه: ج2،ص,366,

70)-نفسه: ج3،ص,272,

71)-نفس المصدر، ج2،ص,385,

72)-نفح الطيب:مصدر سابق، ج2،ص,385,

73)-المن بالامامة:مصدر سابق،ص,150،المعجب:ص,344،ابن خلكان: ج7،ص,134،ابن عذاري:ص,78-79

74)-المن بالامامة:مصدر سابق،ص,113،ابن عذاري:قسم الموحدين،ص,67,

75)-نفس المصدر،ص,113,

76)-ابن عذاري:البيان المغرب،قسم الموحدين،دار الغرب الاسلامي،بيروت،لبنان،دار الثقافة،الدار البيضاء،1985،ص,173,

77)-البيدق:أخبار المهدي،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط 1971،ص,13,

78)-عز الدين موسى:النشاط الاقتصادي،مرجع سابق ص,241

79)-المن بالامامة:مصدر سابق،ص,344,

80)-مراجع الغناي:سقوط دولة الموحدين،مرجع سابق،ص83,

81)-ابن ابي زرع:روض القرطاس،دار المنصور للطباعة،الرباط1972،ص,204,

82)-سوسيولوجية: ج3،دار سينا الكويت،1992،ص,127,الأبيات التي أوردها في الاحالة لم تكن في مجلس عبد المومن بل كانت بعيدة كل البعد فالأبيات هي للشاعر أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد،اتخذه أبوه وزيرا استنابه في أموره حين ثار أهل الأندلس بسبب بني عبد المومن على اللمثين،وقد طلب هذا الشاعر أن يعفى من مهامه إلى أن أباه استقاله فكتب الشاعر هذه الابيات فلما قرأها أبوه قال:"قد تركنا سراح أنسك ولألحقنا يومك بأمسك"نفح الطيب،مصدر سابق، ج4،ص,179-180

83)-ابن عذاري:القرطاس،مصدر سابقـ ص,173,

84)-الاستقصا:مصدر سابق، ج2،ص,200,

85)-القرطاس:مصدر سابق، ج3، ص,243-281,

86)-محمود اسماعيل:مرجع سابق، ج3،صص,126-127,

87)-روض القرطاس،مصدر سابق،ص,288,

88)-ابن مروزق،المسند الصحسح،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،د,ت,ج1،ص,142,

89)-وصف افريقيا:مصدر سابق،ص,183,

90)-نفس المصدر،ص,194,

91)-فاس في عصر بني مرين،مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر،بيروت نيويورك،1967،ص,109,

92)-وصف افريقيا:مصدر سابق،ص,238,

93)-وصف افريقا:مصدر سابق،ص,253,

94)-نفس المصدر،ص,257-258,إن هذه الاشارة تخص بالأساسا الفترة الوطاسية لكن هذه الوضعية يمكن اعتبارها استمرارا للفترة المرينية التي أفل نجمها,

95)-ابن خلدون:المقدمة،دار القلم،بيروت لبنان ط7 1989 ،ص,397,

96)-فيض العباب:الرباط،1984،ص,290,

97)-روض القرطاس:مصدر سابق،ص,173,

98)-أخبار المهدي،مصدر سابق،ص ص,24

99)-نفس المصدر،ص13,

100)-ابن خلكان:مصدر سابق،ص,173,

101)-محمد القبلي:مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط،دار تبقال،البيضاء،1987،ص42,

102)-المعجب:مصدر سابق،ص,284,

103)-نفس المصدر ونفس الصفحة,

104)-أعز ما يطلب:ابن تومرت،ص,363-376,أخذ عن القبلي،مرجع سابق،ص,40,

105)-المعجب:مصدر سابق،صص,285-286

106)-وفيات الاعيان:مصدر سابق،ص,52,

107)-ابن عبدون:رسالة في الحسبة،ص,50،نقلا عن القادري بوتشيش،مرجع سابق،صص98-99

108)-GISELE Chaouin:op.cit.p:277

109)-المن بالامامة:مصدر سابق،ص,344,

110)-الاستقصا:مصدر سابق، ج2،ص,200,

111)-روض القرطاس:مصدر سابق،ص,283,

112)-MASLATRIE .op,cit;p:370.

113)-ابن خلدون:العبر،دار الفكر،بيروت،لبنان، ج7،د,ت,ص,483,

114)-نفس المصدر ونفس الصفحة,

115)-ابن مرزوق:مصدر سابق،ص,282,

116)-الاستقصا:مصدر سابق، ج3،ص ص, 101-102,

117)-نفس المصدر،ص,102,

118)-روض القرطاس:مصدر سابق،ص ص,173-174,

119)-البيدق م س ص 14.

120)-محمد المنوني :خطة الحسبة - مجلة المناهل - عدد 14 1979- ص 216.

121)-المعيار م س ج الثاني ص 411 .

122)-نفسه ص 350.